رحـــــــلات أنور

(٤)

وأرادَ أنورُ أنْ يَعرِفَ الألعابَ التى كان الأولادُ يَلْعَبُونَها . فأرتْهُ البناتُ عَرَائِسَهُنَّ المصنوعةَ من العظمِ أو الخشبِ، والتى أَلْبَسْنَهَا قِطَعًا من الجلدِ . ثُمَّ قالتْ إحداهُنَّ : « ولكنَّا نُحِبُّ الرَّقصَ أكثرَ من أىِّ شىءٍ آخرَ . وأخى يَعْزِفُ على المِعْزَفِ اليدوىِّ (مزيكة اليد) جيِّدًا . وإذا لم يَعْزِفْ أَدْرَنَا الحاكِىَ (الفونوغراف) » .

فسألَ أنور : « ولكنْ كيفَ أَمْكَنَكُمُ الحصولُ على الحاكى والمِعْزَفِ اليَدَوِىِّ ، مَعَ أنِّى لا أَرَى عندَكُمْ حوانيتَ » ؟

فقالتِ البنتُ : « إنَّنا نَشْتَرِيها من الأجانبِ الذينَ يَأْتُونَ إلينا فى الصيفِ بمراكِبِهم ، ليَشْتَرُوا الفِرَاءَ أو ليَصِيدُوا الحيتانَ . وقد اشْتَرَتْ أُمِّى آلة (ماكينة) خِيَاطةٍ من أَحَدِ البَحَّارةِ . والآنَ يَلْبَسُ وَالِدِى أحيانًا سِرْوَالا فرنجيًّا (بنطلونًا) » .

ثُمَّ قال أَخُو البنتِ : « إنَّ الرَّقصَ مُمَلٌّ حقًّا ، ولكنَّا مَعْشَرَ الصِّبْيَةِ نُحِبُّ أَنْ نَلْعَبَ لُعْبَةَ « الصيادين » أو « الحيوانات » . فعندنا حِرابٌ ، وزوارقُ صغيرةٌ ، وزاحفاتٌ صغيرةٌ ، وأقواسٌ وأسهمٌ صغيرةٌ أيضًا . فنَصْطَادُ الطيورَ بالأقواسِ والأسهمِ ، ونَبْحَثُ عن بَيْضِها . ونَقُودُ الكلابَ ، وهى تَجُرُّ الزَّاحِفاتِ ، ونُجَدِّفُ فى الزَّوارِقِ » .

وفى تلك اللحظةِ شَعَرَ أنورُ بِكُرةٍ من الثَّلْجِ تُصِيبُ رَقَبَتَهُ ، ويَنْزِلُ جُزءٌ منها عَلَى ظَهْرِهِ ! فبأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُهُ الْتَقَطَ قليلا من الثلجِ ، وجَمَلَ منه كُرةً قَذَفَها بقُوَّةٍ على الصِّبْيَةِ . وفى الحالِ قامَتْ بَيْنَهم مَعْرَكَةٌ بكُراتِ الثَّلْجِ .

ولَمَّا تَعِبُوا من اللَّعِبِ بالثَّلجِ صاحَ أنورُ : « إنِّى جَوْعَانُ » . فقالَ له أَحَدُ الصِّبْيَةِ : « تَعالَ معى إذَنْ . فسوف أَطْلُبُ مِنْ أُمِّى أَنْ تُعْطِيَكَ شَيْئًا تَأْكُلُهُ . إنَّنا نَعِيشُ فى ذلك الكُوخِ فى الشِّتاءِ ، فهو أَدْفَأُ من الخِيامِ التى نَتَّخِذُها من الجُلودِ ، ونُقِيمُ فيها فى الصَّيْفِ » .

ثُمَّ قادَ الولدُ أنورَ فى نَفَقٍ يُوَصِّلُ إلى الكُوخِ ، وكانَ جزءٌ من هذا النَّفَقِ تحتَ الأرضِ . ولَمَّا دَخَلا الكُوخَ وجَدَا غُرْفَةً مُرِيحةً . فكان بها مَوْقِدٌ صغيرٌ اشْتَراه رَبُّ الأُسْرَةِ من تاجرٍ أَجْنَبِىٍّ ، ومِصْباحٌ من الحَجَرِ من صُنْعِ الأُسْرَةِ نَفْسِها . ووَقُودُ المِصباحِ دُهْنُ عِجْلِ البحرِ أو الحوتِ .. والفتيلُ من نباتٍ يُسَمَّى الطُّحْلُبَ . وكانت أرضُ الغُرْفَةِ من الحجرِ ، والجُدْرانُ مُزَيَّنَةً بالصُّورِ والجُلُودِ . وفى أَحَدِ أركانِ الغُرفةِ مَصْطَبَةٌ كبيرةٌ من الحَجَرِ يَنَامُ عليها كلُّ أفرادِ الأُسْرَةِ ، وهم مُرْتَدُونَ ملابسَ من الجِلْدِ . وكانَتْ أُمُّ الولدِ تُجَهِّزُ الأكلَ . ولَمَّا سَمِعَتْ أَنَّ أنورَ جَوْعَانُ ، أَعْطَتْهُ حَسَاءً (شوربة) مصنوعًا

من دَمِ عجلِ البحرِ ولحمِهِ . ومَعَ أَنَّ الحَسَاءَ لم يُعْجِبْهُ إلاَّ أَنَّهُ بَذَلَ جُهْدَهُ لِيَشْرَبَهُ . ثُمَّ أَعْطَتْهُ قليلا من دُهْنِ عجلِ البحرِ النِّيءِ مع قطعةٍ من لحمِهِ المُمَلَّحِ . وقد ذَاقَ أنورُ

كلاب البر

كلَّ هذه الأشياءِ ولكنَّهُ اشْمأزَّ منها . فانْتَهَزَ فرصَةَ اشتِغَالِ الأُسْرَةِ عنه ، وأَعْطَى الأَكْلَ لِجِرْوٍ كان راقداً عَلَى أرضِ الكُوخِ . ثم سألهم : « وماذا تَأْكُلُونَ غيرَ عجلِ البحرِ » ؟ فأجابه صديقه « الاسكيمو » : « نَأْكُلُ أحياناً لَحْمَ كَلْبِ البحرِ أو حِصَانِ البحرِ ، وبعضَ الأعشابِ البحريَّةِ ، أو التوتَ الذى نَجْمَعُهُ فى الصيف ونَخْزُنُه . ولكنَّا نُحِبُّ عجلَ البحرِ أكثرَ من أىِّ شىءٍ آخرَ . فنحنُ لا نَسْتَطِيعُ أن نَعِيشَ من غيرِه ! ! أنظُرْ ما حَوْلَكَ فى هذا الكُوخِ ! فأُمِّى تَرْتَدِى ملابسَ من جلدِ عجلِ البحرِ . وهى تَطْبُخُ لحمَ عجلِ البحرِ ، على موقِدٍ وَقودُهُ زَيْتٌ مأخوذٌ من عجلِ البحرِ ! ! وإذا خَرَجْتَ من هُنا وجَدْتَ الزَّوارقَ مصنوعةً من جلودِ عجلِ البحرِ والخشبِ ، وكذلك السِّياطُ والخِيَامُ التى نقيمُ فيها فى الصيفِ مصنوعةٌ من جلدِه أيضاً ! ! إنِّى أُؤَكِّدُ لكَ أَنَّ عجلَ البَحْرِ أَنْفَعُ حيوانٍ فى العالَمِ » .